محمد حمزة غنايم

أيام سيئة: بين الكارثة واليوتوبيا

تأليف: ارئيله أزولاي وعادي اوفير

سلسلة «شاكوش»، منشورات «رسلينغ»

٢٠٨ صفحات، تل ابيب ٢٠٠٣

في هذه «الايام السيئة» التي تجتاح اسرائيل يبدو الواقع مثل تدهور لا نهاية له، والأمل كأنه تطلّعٌ الى الوراء. أيُّ تقدم للأمام يرتسم كأنه ذهاب نحو كارثة جديدة، بعد ان تسلطت التوجهات القومية على السياسة والثقافة بشكل كلّي تقريباً، جاعلة من الفلسطينيين عدواً بشعاً، ومجندة المجتمع الاسرائيلي برمته لتخليد نظامٍ احتلالٍ قمعي، ولدفع مشروعٍ استيطانيٍّ كولونيالي الى الامام، يسرّع عملية سفك الدماء ويتغذى عليها. يعرض هذا الكتاب – بلغة المؤلفَين – «فسحة من الهدنة المدنية من الخطاب القومي السائد». وهو يضم مقالات كتبت في ايام «كان لم يزل ممكناً فيها أن نتخيل كيف ستبدو نهاية الاحتلال». اما نهاية الاحتلال في هذا الكتاب فلا تبدو على شكل نهاية تاريخية للصراع بين الفلسطينيين واليهود، ولا كنهاية للحرب او العنف، بل كتفكيكٍ للبنية المشوّهة لعلاقات القوى الكامنة في اساس هذا كله.

جاء في التقديم: «ظِلُّ الاحتلال يرافق فصول الكتاب كأنه ظِلُّ كارثة. ومقالاته تعالج الظل وليس الكارثة نفسها، وتتتبع أثر تصوراته وآثاره، وتحلل الحيَل البهلوانية في التصورات المحذرة من اقتراب او ابتعاد الكارثة مثل ثقب اسود، كما لو كانت حدثاً لا يمكن احتواؤه. هنا تتصل الكارثة القومية بكارثتين كونيتين صوريتين: الاولى حقيقية (كارثة التوأمين) والاخرى لم تكن موجودة ابداً (الانتقال الى الفية جديدة)».

في ظل الكارثة تتكشف، بنوع من الأمل اليائس، الخطوط العريضة لليوتوبيا، التي تحاول المقالات هنا رسم ملامحها: «ذات يوم ستقوم هنا دولة مزدوجة القومية، يعيش اليهود والفلسطينيون فيها جنباً الى جنب، كمواطنين متساوين».

الى ان يتحقق ذلك، تتصدى فصول الكتاب لمهمة من نوع مختلف: البحث في نهاية الاحتلال، وليس «النهاية التاريخية للصراع». والتطلع الى نهاية البنية المشوهة لعلاقات القوى الكامنة في اساس كل ما يجري، وليس نهاية الحرب او العنف. ولا عجب، فجميع هذه المقالات مكتوبة خلال السنوات الخمس الاخيرة، «عندما كان بالامكان ان نحلم بزوال مصدر الشر كله – الاحتلال».

اليوم تغيرت زاوية النظر الاسرائيلية الى الامور. وذلك ليس عائداً الى تواجد اسرائيل الآن في حالة حرب مع الفلسطينيين، ولا «لأننا يئسنا من الفلسطينيين وأدركنا ان لا أحد هناك نحاوره، وانه لا صلح مع ناس يؤيدون ارهاب الانتحاريين. تم ذلك بفضل التغيير في الموقع الذي نحتله داخل الحقل الثقافي والسياسي في اسرائيل. الجرف القوموي والمعادي للديمقراطية في المجتمع الاسرائيلي منذ اندلاع انتفاضة الاقصى، وتراجع مؤسسات وانماط العمل المدنية، ابقتنا في منطقة تكاد تكون معزولة داخل الخطاب السياسي في اسرائيل، ينحشر فيها اليوم ما لا يزيد عن بضع عشرات الالاف من اليهود الاسرائيليين، الذين ما زالوا يصرون على الاحتفاظ بخطاب مدني حتى عندما تثور على السطح اسئلة تمس الهوية القومية.

يخصص المؤلفان الفصل الاول لتفحص قاموس المصطلحات الاساس السياسية في «الانسان» و «المواطن» و «الهوية المدنية»، ويكتبان ان القوموية المتصاعدة والتعصب الديني واشكال العنف الجديدة، التي انبتتها هذه النظم الايديولوجية، لا بد من فهمها على انها سيرورات مدمجة غير متناقضة، وتفسيرها باعتبارها نتائج عمليات العولمة، التي تبلور انماطها في الاداب الاجتماعية. وفي هذا السياق – يكتب المؤلفان – يجب فهم الاستعداد المتزايد في الغرب لتفعيل قوة (اميركية) لفرض قانونه في كل مكان يتمردون عليه فيه.

«في اطار الفهم الايديولوجي لعلاقات القوى الكونية الذي تجذَّر بعد كارثة التوأم، والتي وضعت بكل بساطة الاخيار امام الاشرار، والتنور امام الظلام، يبدو ان النضال الفلسطيني للتحرر (بشكله الحالي) بات بلا امل». كيف؟ «ان هيمنة الحركات الاسلامية على النضال الفلسطيني واصرارها على

ارهاب الانتحاريين باعتباره سلاحاً ناجعاً ضد «العدو الصهيوني»، غذّت الصورة المجردة للايديولوجيا الاميركية بل اسهمت في اظهار مقاومة السلطة الاستعبادية كما لو نبتت من داخل ذراع منظمة الارهاب العالمي. بهذا الشكل يطمس السياق السياسي والكولونيالي للاحتلال ويفسَّر الصراع الاسرائيلي – الفلسطيني كجبهة صراع تاريخي بين حضارات».

والنتيجة؟

ان نهاية الاحتلال بنظر المؤلفين هي نهاية للبحث المحموم والعنيف عن الحدود الضائعة، ونهاية للفانتازيا التي حفرتها عميقاً في وعي واجساد الاخرين. نهاية الاحتلال هي تقييد للذات وتحرر من وهم القدرة على وضع حد نهائي من جانب واحد، مادي، سياسي او ثقافي، بين اسرائيل والفلسطينيين: «نهاية الاحتلال ليست تلك الخطوة البطولية زعماً الكامنة في الانفصال عن الفلسطينيين وتركهم يجابهون مصيرهم لوحدهم، داخل خارجٍ متخيَّل ومستحيل. نهاية الاحتلال هي الاستعداد لاحتواء الفلسطينيين كجيران، كمواطنين، وهي ايجاد ظروف فيها يستطيع الفلسطينيون ان يحتووا بنفس الطريقة اليهودَ الاسرائيليين».

المؤلفان، ارئيله ازولاي مدرسة للثقافة التشكيلية والفلسفة المعاصرة في جامعة بار ايلان ومدرسة الفنون كامير اوبسكورا. فيلمها الاخير «ملاك التاريخ» عرض في مهرجان السينما في البندقية. مؤخراً صدر لها عن منشورات MIT كتاب بعنوان «فاترينا الموت».

عادي اوفير استاذ الفلسفة في جامعة تل ابيب. كان مؤسس مجلة «نظرية ونقد ». صدر له مؤخراً كتاب جديد بعنوان «عبادة الحاضر: مقالات في الثقافة الاسرائيلية المعاصرة ».

الميثولوجيا اليهودية

تأليف: حجاي دغان

سلسلة «اساطير»، منشورات «مباه»

٤٠٠ صفحة، تل ابيب ٢٠٠٣

هذا كتاب جديد في السلسلة الممتازة «اساطير»، التي يحررها دان داوُر، وهو يعطي القارىء الاسرائيلي الجديد نظرة اخرى على مصادره الثقافية والدينية، وبالتالي على كل ما هو تاريخي في الشخصية الاسرائيلية الجديدة.

وفي ضوء هذا الكم الكبير من النصوص والمصادر والاساطير الموجودة في النصوص اليهودية المختلفة، يخيل ان مهمة المؤلف لم تكن سهلة بالمرة. فقد كان عليه ان يقوم بـ «تصفية» الموارد الاسطورية من هذه المصادر، وبرأسها المِقراه والمِدراش والاغاداه والقبالاه وكذلك بعض التفسيرات والصياغات اليهودية اللاحقة.

لذلك جاءت نصوصه الجديدة قراءة منتقاة للاسطورة اليهودية التي تصنع مجمل القصص والروايات والحكايات والمضامين المسماة «يهودية»، بدءا بخلق العالم والطرد من الجنة والطوفان وقصص الآباء والامهات، والخروج من مصر وانزال التوراة وخراب الهيكل والخلاص وغيرها.

في سياق هذه القراءة الانتقائية للتراث اليهودي كان لا بد ان يتوصل المؤلف الى إعادة تشكيل الشخصيات المركزية فيه، والعلاقات المتشابكة فيما بينها. وهو يعيد رسم شخصية «الاله اليهودي» والملائكة وقوى الخفاء وشعب اسرائيل و «ارض اسرائيل».

يقول المؤلف ان جذور هذه المواد الاسطورية عائدة الى الماضي الكنعاني المليء بالآلهة والالهات، الذي كان ارضية لحياة «شعب اسرائيل» حتى اواخر ايام «البيت الاول» (الهيكل الاول) وتواصلت في التأثيرات المختلفة والمتنوعة التي حولت شخصية الاله الغريزي الذي يكاد يكون بدائياً الى اله «نقي من أي تشيّؤ».

ويقول ايضاً: ان القصة الطالعة من اعادة قراءة هذا التراث الاسطوري هي قصة اليهودي العلماني مثلما هي قصة اليهودي المتدين. «العلماني يعرف ان القصة هي مجرد قصة، ويجد فيها مواد اسطورية وليس حقائق عقائدية. لكنه قد يكتشف ان هذه الكلمات التي تقدم نفسها على انها اقوال حية من الرب ما تزال عائشة واحياناً «ضاربة» في الواقع، وان هذا الرب ما يزال يعني له شيئاً. قد يكتشف ان هذه القصة، قصة اليهود والهههم، وعقائدهم ومخاوفهم وتعقيداتهم القديمة، لا تزال لا تعطينا أي طعم للراحة».

يضم الكتاب ٢٢ فصلا تبحث في الله، المرأة الربانية، الملائكة، عالم الخفاء، التوراة، الشعب المختار، البلاد، الخلق، العالم الاخر، الرشد، ابراهيم، اسحاق، يعقوب، يوسف، موسى، الصحراء، ياعيل، شمشون، يونه، الياهو، الخراب والمنفى، والخلاص.

المؤلف، حجاي دغان، محاضر في موضوع «الفكر الاسرائيلي» في جامعة بن غوريون في النقب ورئيس قسم «الفكر الاسرائيلي » في «كلية سبير». نشر روايتين هما «نصوص من جزيرة النساء» و «تحت خط اللذة ».

توجد في الواقع هنا حربان

تأليف عاموس عوز. دار النشر «كيتر»،

١٤٣ صفحة، القدس الغربية ،٢٠٠٢.

«ما الذي يمكن لانسان بسيط صنعه في مواجهة حريق هائل؟ يمكنه محاولة الهرب من النار، وترك اولئك الذين لا يستطيعون الهرب، او لا يملكون جهة يهربون اليها، يصارعون اقدارهم. يمكنه ان يقف ويولول. وان يجلس ويوزع الاتهامات. ويمكنه ايضاً ان يملأ الملعقة التي بيده مرة تلو اخرى ويسكب الماء على السنة اللهب. لكل انسان ملعقة باليد. في هذه الايام يجب على كل محب للسلام ان يغرف الماء بالملعقة التي بيده على الاقل، ويسكبه على النار: ان يرفع صوته، ان يعارض مجرمي الحرب من كل جانب، وان يساعد ضحايا مجرمي الحرب من كل جانب، ان يتظاهر، ويقوم بالاقناع والكتابة والمجادلة والترويج للحل الوسط المنطقي والخروج ضد استمرار الاحتلال الاسرائيلي وضد الحملة الاسلامية – اللاسامية للقضاء على اسرائيل. الملعقة التي بيد الانسان البسيط صغيرة حقًا والنار كبيرة جداً، ولكن... يجب ان نشكل الان في اسرائيل وفلسطين «جيش الملعقة» الذي يضم كل الناس المستعدين لبذل قصارى جهودهم لوقف القمع والقتل والانتقام والانتقام على الانتقام».

هكذا هو عاموس عوز، الاديب العبري المعروف، في كتابه الجديد الذي يحمل عنوان «توجد في الواقع هنا حربان مختلفتان»، الصادر هذه الايام عن دار النشر «كيتر» في القدس الغربية.

الكتاب مجموعة مقالات ومقابلة واحدة مكتوبة بين السنوات ١٩٩٨ و ٢٠٠٢ يتناول فيها صاحبها مختلف القضايا التي كانت مدرجة على الاجندة القومية الاسرائيلية العامة في تلك الفترة، وبرأسها قضية الصراع مع الشعب الفلسطيني.

عوز، في كتابه هذا، كما في كل كتاباته، ملتزم بخط اليسار الصهيوني الواضح في الحل مع الفلسطينيين، والقائم على استمرار معارضة حق العودة (يعود الى تأكيد ذلك في مقاله تحت عنوان «اللاجئون اولا » ص ٢٥) ومعارضة تقسيم القدس والحديث عن دولة ذات اغلبية يهودية وعن «تعديلات حتمية» في خط الرابع من حزيران.. الخ. وهو لا يشذ هنا عن مجمل الخط الصهيوني الذي ترسمه كتاباته منذ البداية، وإن بدا في كثير من الاحيان انه متناقض ويخلط بين الامور.

لذلك يبدو هذا الكتاب انعكاسا لحقيقة كون الخطاب الشعبي الاسرائيلي العام يشهد منذ اندلاع انتفاضة الاقصى حيرة وارتباكاً واندفاعًا وتطرفًا، الى جانب اليأس واللامبالاة. وفي مقالاته هذه يحاول عوز تقديم القليل من الجديد في المواقف والمصطلحات في مواجهة واضع متقلب، مفضلا العودة اليه كثيرا بالادوات نفسها.

يبحث عوز في الثمن الاخلاقي لمختلف الطرق المعروفة للحل أو «إدارة الصراع»، ويسأل: «علامَ نتقاتل هنا حقاً؟ اين هي الخطوط التي لا يجب تجاوزها، وفي أي شيء يجدر النضال، وعلى أي شيء يمكن التوصل الى حلول وسط؟».

بنظرة ثاقبة واسلوب خاص يحيط عوز بالمتغيرات في المجتمع الاسرائيلي ويجمل الوضع بالكلمات التالية: «محظور على هذه الثقافة ان ترتدي ثوب الطقوسية الدينية الجامدة والمتحجرة التي لا روح فيها، والتي اصبحت كلها شكلانية لا يوجد فيها أي وميض. مؤكد انه يجب الحذر من الصوفية القومية التي ترى في هذا الشعب المميَّز والخاص خلاصةً كل شيء، ولتذهب الانسانية كلها الى الجحيم الا اذا توجهت الى جبل صهيون جاثية على ركبتيها».

في اسرائيل التي يغشاها الضباب، تبدو كتابات عوز مقترحات ثقافية لتفكير عميق: «انا لست صوفياً في اشياء كثيرة يميل الاخرون لأن يكونوا فيها صوفيين»، يكتب عوز. «لكنني في قضية واحدة اراني صوفياً بالذات: الكلمة لن تضيع اذا كانت جديرة. ستتمدد مثل بذرة الحياة في الرمل المقفر عشرَ سنوات، او خمسين سنة، وبالتالي ستنبت».

جغرافيا الاحتلال

تأليف: اليشع افرات

سلسلة «صورة الوضع»، دار النشر كرمئيل

٢٣٥ صفحة، القدس الغربية ٢٠٠٢

لا يزال الجمهور الاسرائيلي مختلفا مع نفسه في مستقبل المناطق المحتلة منذ العام

١٩٦٧ وفي مصير المستوطنات الاسرائيلية الموجودة فيها. ولا تزال هذه المسألة تحتل مكانة متقدمة على جدول الاعمال الاسرئيلي، بعد أن بات واضحا للجميع ان «مصدر الشر» كامن في الاستيطان والاحتلال.

مع ذلك، يخيل ان الجمهور في اسرائيل ليس مدركاً بما يكفي للأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية المدمرة للاحتلال، سواء كان داعماً له كلية او بشكل جزئي.

هذا الكتاب محاولة لوصف وتحليل ماهية الاحتلال وما يمكن ان يجره في اعقابه، عبر عرض سردي لمجمل الاحداث التي وقعت بين السنوات ١٩٦٧-٢٠٠٠ في المناطق المحتلة، وتحليلها من زاوية النظر الجيوبوليتية.

في العقود الاخيرة مرت هذه المنطقة بتحولات سياسية وبوليتيكية واستيطانية كثيرة، وهي لا تزال الى الان موضوعاً مركزياً في التجربة الاسرائيلية، يؤثر على حياة الناس اليومية، في اسرائيل وفي الاراضي الفلسطينية، ولا يُفضي الى اي مخرج في الافق.

يكتب المؤلف، الخبير الجغرافي واستاذ الجغرافيا في جامعة تل ابيب اليشع افرات:ان المناطق المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولكونها اليوم من المناطق الوحيدة في العالم التي لا تزال تحت الاحتلال، قد تبرهن على اسس وتحولات وديناميكية النتائج المترتبة على «جغرافيا الاحتلال». ففي هذه المناطق توجد بالفعل كافة الاسس النموذجية المقرونة بالاحتلال: الارض، الملكية على الارض، مصادر المياه المحدودة، السكان القرويون والمدنيون القدامى، وانواع مختلفة من التجمعات السكنية، ومستوطنات، وشوارع حيوية للمواصلات، وحدود قائمة واخرى متخيلة، كلها معا – الى جانب المشاعر القومية القوية لدى سكانها – تخلق منظومة خاصة من المزايا غير الاعتيادية في المعرفة الجغرافية القائمة، يمكن ان نطلق عليها التسمية «جغرافيا الاحتلال».

ينقسم الكتاب الى ثلاثة عشر فصلا ومجموعة من الملاحق والوثائق الجغرافية ذات الصلة، فيها يستعرض المؤلف التطورات السياسية والديمغرافية التي شهدتها المنطقة منذ سقوطها تحت الاحتلال الاسرائيلي في سنة ١٩٦٧، ومراحل تكونها المادي. ويعرض الى قضايا الارض والماء والاستيطان والقدس والديمغرافيا والشوارع الالتفافية والدولة الفلسطينية و «الارهاب» وغيرها، ويقول ان مستقبل اسرائيل سيتقرر بحسب طريقة مجاراتها لقضايا المناطق المحتلة وسكانها الفلسطينيين.

المؤلف جغرافي وباحث ومخطط، عمل ثلاثين عاماً استاذا للجغرافيا في جامعة تل ابيب، ومنذ حرب ١٩٦٧ اهتم في نطاق عمله الاكاديمي بالجغرافيا السياسية لدولة اسرائيل والاراضي الفلسطينية المحتلة.

ضد العولمة: نقد الرأسمالية الراهنة

تحرير: افرايم رفيدي. منشورات «رسلينغ»

١١٨ صفحة، تل ابيب ٢٠٠٣

على رغم حقيقة اندماج اسرائيل في جوهر العولمة الرأسمالية، لم يصدر حتى الان بحث عبري متخصص في كتاب يعالج ويحلل الظاهرة من الزاوية الاسرائيلية. من هنا، فإن هذا الكتاب من الكتب النادرة التي تبحث في اندماج اسرائيل في العولمة الرأسمالية، تلك الحقيقة التي جعلت ملايين الاسرائيليين يحسون على جلودهم نتائجها. وعليه يمكن القول انه كتاب ريادي يفتتح نقاشاً ثقافيًا وضروريًا حول الظاهرة، ويحاول ان يرسم الطريق الافضل لها في ظل سياسات عولمة الاقتصاد.

ويسأل: هل توجد علاقة بين العولمة والهيمنة الاميركية في العالم؟ وهل هناك صلة بين العولمة واستغلال العمال في العالم وتطبيع «ورش العَرَق» على ايدي مجمعات عالمية ضخمة؟ وهل هناك صلة بين العولمة وهدم البيئة واستغلالها المنهجي على ايدي اصحاب المال الساعين الى تحقيق اكبر قدر من الارباح بكل ثمن؟ وهل هناك صلة بين العولمة وسيطرة الاسواق على الحكومات وتحويل المدى الجماهيري والشخصي الى بضاعة هائلة؟ هل هناك علاقة بين العولمة وازدهار القوميات والعنصرية؟

يضم هذا الكتاب سبعة مقالات تحاول الاجابة على هذه الاسئلة، بصورة نقدية – راديكالية: «من اجل تغيير جدول الاعمال العام القائم ومن اجل تفكير يطرح التحدي حول التنظيم الاجتماعي المعادي للرأسمالية».

تحلل فصول الكتاب السبعة ظاهرة العولمة ومخاطرها، وتفسر دروس المعركة الكونية الدائرة ضدها، وتحاول استخلاص العبر من دروس مظاهرات سياتل من العام ١٩٩٩ ونشاطات صندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية، وتعمق الفجوات في العالم الى جانب نشوء رأسمالية متوحشة ومنفلتة.

المقال الختامي في الكتاب كتبه افرايم دفيدي حول ابعاد العولمة على الاقتصاد

والمجتمع في اسرائيل على ارضية ازمة «الهاي تك» العالمية واقتصاد الاحتلال الاسرائيلي المتواصل وتأثيرات انتفاضة الاقصى عليه، وسأل: «هل العولمة جيدة لاسرائيل؟ وهل العولمة جيدة لسكان اسرائيل ومواطنيها؟ لو حكمنا بموجب تصريحات «المؤسسة» (رؤساء حكومة، وزراء مالية، سياسيون واقتصاديون او صناعيون) فسنتبين ان دمج اسرائيل في نهج العولمة عاد عليها فقط بالخير، كما يقول البروفسور شلومو بن عامي وزير الخارجية والامن الداخلي سابقا عن العولمة وتأثيراتها على اسرائيل.

لكن دفيدي يتوصل الى ان اسرائيل نكبت باقتصاد العولمة وانها تدفع ثمن ذلك غالياً في علاقاتها الدولية وفي صراعها الحالي مع الفلسطينيين.

المحرر، افرايم دفيدي صحافي متخصص بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية، عضو في قيادة الهستدروت وطالب للقب الثالث في مدرسة التاريخ في جامعة تل ابيب.

ثبت بيليوغرافي للترجمات والدراسات العربية عن الادب العبري الحديث في اسرائيل والعالم العربي

تأليف: د. محمود كيال. اصدار معهد ترجمة الادب العبري. ٢٢٥ صفحة، تل ابيب ٢٠٠٣

ينطلق الباحث، الدكتور محمود كيال، من حقيقة ندرة التوثيق البيليوغرافي المناسب للنصوص الادبية المترجمة من الادب العبري الحديث، وسوى عدد محدود من الكتب غير المكتملة او المنقحة، لم يسبق ان تم مسح هذه الترجمات في مسرد بيليوغرافي واف يعطي الصورة الحقيقية لواقع الحال في هذا المجال المهم.

يقول المؤلف في مقدمته لهذا الاصدار: «ان تزايد اهتمام الباحثين بشأن النزاع العربي – الاسرائيلي والعلاقات الثقافية – اليهودية – العربية في العصر الحديث يحتم وجود توثيق بيليوغرافي ملائم يكفل توفير الكثير من الجهد والعناء على المعنيين. وتشكل الترجمات العربية عن الادب العبري الحديث والدراسات العربية حوله قطاعاً هاماً في تلك العلاقات الثقافية، مما يجعل توثيقها بيليوغرافياً حيوياً ايضاً ».

يبين هذا المرجع البيليوغرافي المهم ان حركة الترجمة من العبرية الى العربية نشطت في مركزين: اسرائيل والعالم العربي. وفي ذلك يكتب المؤلف: «ثمة اختلافات واضحة بين هذين المركزين من حيث ثقافة المترجمين ومؤهلاتهم، وطبيعة منابر النشر ومدى استمرارها في هذا النشاط وكمية الترجمات والحاجة الى ايضاحات وملاحظات مرافقة للنص المترجّم، واستخدام الترجمات الوسيطة في لغات اخرى، والهيئات المبادرة والموقف من الادب العبري وغير ذلك ».

هذه الاختلافات – بموجب كيال – نشأت كما يبدو نتيجة لاحتكاك المثقفين العرب في اسرائيل بالثقافة الاسرائيلية وباللغة العبرية وآدابها بصورة اكثر عمقاً واتساعاً من نظرائهم في الدول العربية.

على الصعيد المحلي، لا يمكن القول ان حركة الترجمة حظيت بمكانة مهمة في الادب العربي المحلي، كما يكتب كيال في بحثه: كلما زاد الشعور بالانتماء الى الهوية الفلسطينية لدى العرب في اسرائيل ازداد الاغتراب بين الثقافتين العبرية والعربية وتقلصت فرص هذه الحركة في النمو والرواج. لذلك فان الامعان في مقارنة مركزي الترجمة المذكورين يبين لنا انه رغم الاختلافات الآنفة الذكر الا ان هناك مزايا مشتركة بينهما تدل على ان هذه الحركة ذات مكانة هامشية في الثقافة العربية في كلا المركزين: ذلك ان حركة الترجمة في هذين المركزين جرت بمعظمها في منابر محددة وعلى يد بضعة مترجمين. وعلى رغم مرور عشرات السنين على بداية هذه الحركة، الا انه لم تترسخ تقاليد واضحة بشأنها، اذ شهدت الحركة منذ نشأتها تغيرات عديدة من حيث منابرها ومترجميها واساليبها وغير ذلك.

وقد لعبت القناعات السياسية والايديولوجية والاعتبارات الشخصية دوراً مهماً في اختيار الاعمال الادبية المترجمة، واغفلت قيمة هذه الاعمال ومكانتها الادبية والفنية. وفي ذلك ما يؤكد هامشية حركة الترجمة من العبرية للعربية ازاء حركات الترجمة الاخرى الى اللغة العربية.

يكتب البروفسور ساسون سوميخ في تقديم هذا الاصدار ان اجواء العداء التي صاحبت اقامة دولة اسرائيل وتشرد الشعب الفلسطيني زادت من اهتمام الطرفين بالوانب السياسية والعسكرية للصراع وادت الى اهمال الجانب الثقافي.

اما بالنسبة لدراسة الترمات الادبية المتبادلة بين اللغتين العربية والعبرية في العصر الحديث، فقد اعتقد البعض انه رغم الهوة الحضارية الفاصلة بين الجانبين، فالصعوبات ليست كبيرة، على الاقل من ناحية لغوية ونصية، «ليس فقط بسبب التشابه الواضح بينهما من حيث النحو والصرف، وانما ايضاً بسبب عصور الاتصال والتواصل التي قربت بين ابناء الديانتين والحضارتين في العصور الوسطى، وخاصة الفترة المسماة بالعصر الذهبي. والتي نتج عنها ادب عبري مشبع بروح الادب العربي» كما يكتب سوميخ. لكن فحص النصوص المترمة في الفترة المعاصرة لا يبرح هذا الرأي. فاختلاف المعاني والدلالات بين اللغتين اليوم هو كما يبدو اكبر مما نظن وكل من يحاول ترجمة نص ادبي من العبرية

الى العربية سيواجه عدداً كبيراً من صعوبات الترجمة التي تضع العقبات امام المترجم.

بفضل هذه البيليوغرافيا – كما ينوه سوميخ ايضاً في التقديم – سيسهل الان استشراف المحتويات البيليوغرافية وتحديد الكتاب والشعراء العبريين الذين حظوا باهتمام المترجمين العرب، ومكان الاهتمام بهم. وكذلك تحديد الشعراء والكتاب الذين لم يشدوا انتباه المترجمين، «وانما اجتازت اصداء غامضة فقط من ادبهم الحدود بيننا وبين جيراننا »، كما يقول كاتب التقديم.

المؤلف محمود كيال مقيم في الجديدة في الجليل الغربي. درس في جامعات القدس وحيفا وتل ابيب ونال الدكتوراة من جامعة تل ابيب العام ٢٠٠١ في موضوع «معايير الترجمة في ترجمات الادب العبري الحديث الى اللغة العربية بين ١٩٤٨ و ١٩٩٠ ». وهو محاضر في قسم اللغة العربية وادابها في جامعة تل ابيب، وله عدد من الابحاث حول الترجمة.

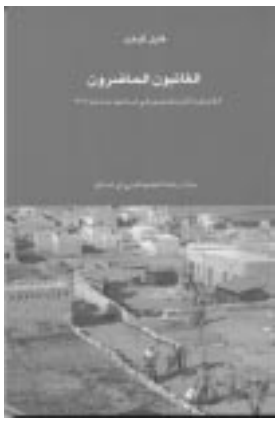

الغائبون الحاضرون: اللاجئون الفلسطينيون في اسرائيل منذ العام ١٩٤٨

تأليف: هليل كوهين . ترجمة نسرين مغربي، تقديم وتحرير: د. عادل مناع. إصدار: مركز دراسات المجتمع العربي في اسرائيل، معهد فان لير

٢٠٥ صفحات، القدس الغربية ٢٠٠٢

يؤرخ «الغائبون الحاضرون» لأحد أوجه المأساة الفلسطينية المعاصرة، قضية اللجوء في الوطن، التي هي جزء لا يتجزأ من قضية اللاجئين الفلسطينيين العامة.

في البداية، ينوّه المؤلف الى أن موضوع اللاجئين الفلسطينيين داخل اسرائيل منذ اقامتها لم يحظ حتى ببعض الاهتمام الذي حظيت به قضية اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية. ومنذ ان صدر الكتاب بالعبرية اولا قبل عامين تقريباً شهدت المنطقة عموماً وساحة الصراع الفلسطيني– الاسرائيلي خصوصاً احداثاً مهمة من ضمنها تحرك العملية السلمية وعقد قمة كامب ديفيد في تموز ٢٠٠٠ ثم فشل تلك القمة واندلاع الانتفاضة الفسطينية الثانية. بأثر من ذلك ابتعدت المنطقة بسرعة عن اجواء التفاؤل الحذر ودخلت في دوامة اليأس من امكانية التوصل الى اتفاقية سلام تشمل ايضاً حلا منصفاً ومقبولاً لقضية اللاجئين الفلسطينيين.

وفي اعقاب فشل المحادثات الاسرائيلية – الفلسطينية تحول حق العودة الى فزاعة تلوّح بها القيادات الاسرائيلية امام الرأي العام الاسرائيلي، وبين عشية وضحاها انقلبت الضحية الى عدو يهدد أمن إسرائيل ومستقبلها لمجرد المطالبة الفلسطينية بحق العودة للاجئين وعدم التنازل عنه. وهكذا انتقلت مسألة اللاجئين وحقوقهم في العودة والتعويضات من مسألة سياسية وانسانية قابلة للحل الى فزاعة يلوَّح بها في اسرائيل على انها اداة جديدة للقضاء على الدولة اليهودية.

لم تدرج قضية «الحاضرين الغائبين» على جدول اعمال المباحثات الفلسطينية – الاسرائيلية منذ عقد اتفاقيات اوسلو العام ١٩٩٣، رغم ذلك تأثرت هذه المسألة بمصير تلك المحادثات وخاصة المتعلقة منها بقضايا المرحلة النهائية التي تشمل قضية اللاجئين الفلسطينيين. واعتبرت قضية اللاجئين في وطنهم بعد اقامة اسرائيل العام ١٩٤٨ مسألة داخلية بين مؤسسات الدولة ومواطنيها العرب. لكن هذا الاتفاق في التسعينات لم يقلل من حدة المشكلة او يخفف من وطأتها. فالمهجرون انفسهم تخوفوا من ان تضيع حقوقهم بسبب اتفاق اوسلو مما دفع بعضهم الى تكثيف نشاطهم وتنظيم صفوفهم للدفاع عن حقهم في العودة والتعويضات.

ولعل قضية اقرث وبرعم افضل برهان حي على مأساة لجوء الفلسطينيين في وطنهم. وعلى رغم صدور قرار قضائي اسرائيلي بالعودة الا ان الحكومات الاسرائيلية ظلت تحاول فرض حلول بديلة عن مطلب الاقارثة والبراعمة بالعودة الى اراضيهم وقراهم.

مع السنين لم تقف حكومات اسرائيل على الحياد حيال قضية «المهجرين» في الوطن، ونجحت في طمس الجغرافيا والتاريخ الفلسطينيين الى حد كبير واقامت ابنية وتجمعات سكنية جديدة على انقاض المشهد – الرواية الفلسطينية بعد العام ١٩٤٨.

هذا الكتاب يحاول اعادة رسم ملامح المشهد قبل اسرائيل، ويطرح مقترحات لحلول، يولي للفلسطينيين اصحاب القضية قسطا اكبر في النهوض بها. وعلى امتداد ثلاثة ابواب وثمانية فصول يقدم المؤلف مسحاً شاملا لقضية لاجئي الداخل والنشاط السياسي والمعطيات الجغرافية، ويؤرخ لمرحلة نشوء القضية وصولا الى اعادة فتح «الملف المطوي» بعد ١٩٦٧ ويجمل بحثه في فصل ختامي بعنوان «من صراع البقاء الى تثبيت الهوية».

من هنا يمكن القول ان هذا الكتاب اضافة

مهمة ليس فقط لتوثيق ودراسة مسألة اللاجئين الفلسطينيين عامة وانما للمصير الذي واجهه من تبقوا في وطنهم ومنحتهم اسرائيل المواطنة منذ العام ١٩٤٨.

المؤلف باحث ومدرس في قسم شؤون الشرق الاوسط في الجامعة العبرية.

المغاربة: نيجاتيف الاشكناز

(عن الصدام بين «المغربية» الشخصية والشكلية «الاشكنازية»)

تأليف: ايتان كوهين. سلسلة «شاكوش» منشورات رسلينغ. ١٢٣ صفحة، تل ابيب ٢٠٠٣

ثلاثة فصول وخلاصة بعنوان «المغاربة والديمقراطية الاسرائيلية»، تحلل باسلوب علمي دقيق ظاهرة «المغاربة» في اسرائيل، أي: اليهود من اصل مغربي، الذين هاجروا الى فلسطين في السنوات الاولى على قيام اسرائيل، والموقف العام الذي يمرون به بعد اكثر من خمسة عقود على وصول دفعات كبيرة منهم الى هنا.

ينطلق الكاتب من فرضية ان المغاربة يعانون من تمييز عنصري من جانب المؤسسة الاشكنازية الحاكمة، تلك الفئة المتنفذة في السلطة، التي اطلق عليها عالم الاجتماع الاسرائيلي باروخ كمرلنغ اسم «الاحوساليم»، وحكمت اسرائيل عشرات السنين. ويقول ان مصدر هذه الاحاسيس القوية بالاضطهاد والمهانة لدى المهاجرين اليهود من المغرب، وكذلك جذور معاداة المؤسسة التي تعبر عن هذه الاحاسيس، كما تمثل في ما عرف في حينه باسم «تمرد وادي الصليب» في حيفا، او في الدعم الجارف لحزب «الليكود» في السبعينات، عائدة الى انماط مجتمع وثقافة اليهود الاصليين في المغرب، وطنهم الاصلي – «وهي انماط تبلورت في ظل الظروف السياسية الخاصة بالمجتمع الاسلامي».

ما يسميه الكتاب «الاساس الشخصي» (الذي يتضمن «مرونة وعفوية في الحياة العامة، وشعبوية قائمة على المساواة، وصوفية تجارية») اصطدم بقوة كبيرة بالموقف المتسلط من جانب «مباي»، الحزب الاشكنازي الذي اسس وحكم اسرائيل حتى العام ١٩٧٧ وعاد ليحكم اكثر من مرة الى ان خسر السلطة لليكود واليمين، واصطدم ايضاً بـ «الانغلاق المغرور للحركة الكيبوتسية» تجاه الشرقيين، والمغاربة بضمنهم. حالَ هذا الصدام دون احساس المغاربة بالتواجد في «البيت»، وخلق اساساً صلباً لصراع طائفي متواصل، باسم الكرامة والرغبة في الانتقام.

دائرة العداء السحرية، التي كانت بدايتها في النشاط المحدود نسبياً للمؤسسات الصهيونية في المغرب والانتقائية في الهجرة اليهودية، استمرت مع إبعاد المهاجرين الى «بلدات التطوير ش النائية والمحدودة الامكانيات، ومع تفعيل الرقابة على «المتوحشين» من جانب المؤسسة التي استوعبتهم. «خيانة المستوعِبين (يكتب ايتان كوهن) لفكرة مزج الشتات المفتوح والاخلاقي تخلدت على يد الجيل الاول الذي التصق ببلدات التطوير بواسطة معتقداته التقليدية، وكذلك لدى الجيل الثاني الذي عارض هيمنة السلطة على الثقافة».

خلّدت هذه الحالة الصلة العاطفية للمهاجرين من المغرب بأنماط اجتماعية وحياتية ميزتهم اصلا في مسقط رأسهم، ضمن ذلك التوجه اللا-شكلي، «القانوني»، الذي خلق في نهاية الامر الصفة العنيفة المقولبة حول «المغربي حامل السكين».

يتناول المؤلف ظاهرة «المغاربة» عبر وجهها «الثقافي» بالذات، من خلال مناقشة نصوص وآراء عدد من المثقفين والكتاب اليهود من اصل مغربي، ومن يمكن اعتبارهم ابرز رموز اليهود المغاربة، مثل عوزيئيل حزان، دافيد ليفي، سامي شالوم شطريت، اوديت حفتسيباه، امنون دنكنر، مردخاي فعنونو، عمير بيرتس وغيرهم.

في الفصل الإجمالي المسمى «المغاربة والديمقراطية الاسرائيلية» يعرض كوهن، المحاضر في علم الاجتماع في الجامعة المفتوحة، إعادة تأمل «القالب المغربي» في اسرائيل، في جهد واضح لسرد «الرواية الكاملة» لتاريخ اضطهاد يهود المغرب من جانب السلطة الاسرائيلية الحاكمة، دون ان ينسى الاشارة الى ان بعض رموز هذه الطائفة مشترك الى الان في تطبيق السياسة الرسمية على مجتمعات المهاجرين من البلدان العربية، «بالحديد والنار»، وبضمنهم يهود المغرب!